توفيق الحكيم

فنان تعادلية الدين والحياة

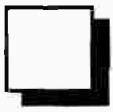

ليس غريبًا أن يكون توفيق الحكيم أول عربى مسلم يتصدى للدفاع عن الإسلام ونبى الإسلام ﷺ ضد افتراءات «مولتير» بنفس طريقة التناول، التى اتبعها هذا المفكر الفرنسى فى الكتابة عن النبى الكريم، وهو العمل المسرحى.

وأن يكون كتاب الحكيم عن النبى ﷺ «محمد الرسول البشر» من أوائل قائمة كتب الحكيم، إذ يعدّ الكتاب الثالث فى هذه القائمة من حيث التاريخ .

وأن يحرص على أن يقرب بين مذهبه أو منهجه للنظر إلى الأشياء والدين الإسلامى، والمعروف بـ «التعادلية» الذى أعلن عنه عام ١٩٥٥م، حيث أصدر فى أخريات عام ١٩٨٣م الجزء الخاص بالتعادلية والإسلام.

ليس غريبًا كل هذا. . إذا كان كاتبنا الكبير، أول ما وعى الحياة، وتذوق ما فيها من فنون كان عند سماعه لآيات من القرآن الكريم، يتلوها معلمه. . ذلك الشيخ الذى طلبت منه الأسرة أن يتلو على صغيرها «توفيق» آيات من هذا الكتاب المبين أملاً فى أن يحفظ الكثير منها.

وهكذا أصبح هذا الطفل الصغير يجد لذةً واستمتاعًا لسماعه ما يتلوه معلمه، فيردد وراءه الآيات، وأن يتذوق ما يتلوه الشيخ ويطرب له، بل ويتلو هو نفسه القرآن مقلدًا شيخه. بصوت يجعل الآخرين يطربون له حيث يقول فى ذكريات حياته «سجن العمر»: «لست أذكر بالضبط متى كان أول انفعال لى بالجمال الفنى؟ لعل أول مظهر من مظاهره اتخذ صورة التلاوة القرآنية الجميلة، يوم كنت بالريف بأبى مسعود. . أحضروا لى شيخًا يحفظنى القرآن، ويعلمنى مبادئ

القراءة والكتابة، فى ذلك الوقت من العام.. وقت الصيف حيث نغادر البنادر بمدارسها.. ولا يوجد فى ناحيتنا تلك من الريف وقتئذٍ كتّاب من الكتاتيب.. كان ذلك الشيخ الذى أحضروه جميل الصوت، يعلمنى ويحفظنى ساعة، ويتلو القرآن ساعة، ويؤذن للصلاة فى المصلى القائمة على حرف الترعة، كان الإعجاب بصوت هذا الشيخ فى كل الناحية حافزًا لى على محاكاته.. فكنت أحفظ القرآن أو ما يلقننى إياه من الآيات لأتلوها مثله بصوت جميل. ويظهر أنه كان لى مثل هذا الصوت.. إذ كنت اسمع من يطريه ويثنى عليه، فيزيد فىّ ذلك إقبالاً على التلاوة وتجويدًا لها.. وشعرت لأول مرة فى قرارة نفسى بما يشبه الشعور باللذة الفنية.. ذلك الذى نصفه اليوم بإحساس الفنان وهو يقوم بعمل فنى»[1].

فإن كان هذا الحديث قد تم فى مرحلة الطفولة، وفيه نرى اهتمام الطفل وأسرته بالقرآن حفظًا وتلاوةً. وكيف أن الحكيم يعترف بأن هذا كان أول إحساس له كفنان، بالفن كقيمة جمالية يستمتع بها الإنسان.. فهناك حدثٌ آخر قد تم فى مرحلة الشباب، هو بالتحديد قبل عودته من فرنسا، والتحاقه بالسلك القضائى، حيث كان يراسل صديقًا له غادر باريس ليعمل فى مصانع «ليل» بشمال فرنسا. وفى هذه الرسائل التى تضمنها كتابه «زهرة العمر» يعلن الحكيم صراحة أنه كان يستلهم فنه القصصى مما فى القرآن الكريم من قصص، ويرى: «لو أن أدباء الفصحى من العرب القدامى قد تنبهوا لما فى هذا الكتاب المبين من الجمال القصصى، مما يعدّ أساسا لفن القصة، لأصبحنا اليوم أساتذة هذا الفن الروائى بما لدينا من قرآن عرف القصص.. «لكن وأسفاه»[2]!

وهناك حدثٌ ثالث قد تم فى مرحلة النضج الفكرى لدى الحكيم.. حين أرسل إليه واحدٌ من قرائه يسأله عن مذهبه أو منهجه فى الحياة[3]، فكتب الحكيم إجابة مطولة غطت صفحات كتاب «التعادلية».

فى هذا الكتاب.. الحكيم يأسى لما آل إليه حال العصر الحديث. حين طغت

الماديات على الروحانيات.. وقال إنسان هذا العصر أنه حر تمام الحرية. وكأن إنسان هذا العصر يريد أن يقضى على تعاليم الأديان، حيث ختم على نفسه بطابع المادية، مما أوجد نوعًا من الاختلال، مصدره تقدم العقل وتحركه، وجمود من يمثلون قوى الإيمان وتخلفهم. وكانت النتيجة ـ فى رأى الحكيم ـ هو القلق الذى يعدّ أكبر أمراض هذا العصر.

القلق الذى كان لابد وأن يوجد، بعد الاختلال بين قوى نشاط التفكير، ونشاط الإيمان. القلق يوجد حيث لا يكون هناك تعادلٌ بين قوة العقل، وقوة القلب.. بين نشاط التفكير ونشاط الإيمان. وهو بعينه اختلال التعادل بين العلم والإيمان.

وكأن الحكيم فى تعادليته هذه يرد إنسان العصر الحديث إلى صوابه بالرجوع إلى الإيمان إلى جانب رجوعه إلى العقل، كأنه يقول: ليس الإنسان فى هذا الكون وحيدًا، ومسيطرًا سيطرة مطلقة، بل هناك إلى جانبه قوى غير منظورة، من شأنها أن تحد من حريته، وأن تكن حافزًا له على الكفاح نحو الأرض. أما القوى غير المنظورة فإدراكها عنده يكون بإيمان القلب. وأما فكرة الأرض التى تتطلب الكفاح فإدراكها بالعقل. ولابد من إيمان وعقل يعملان معًا فى تعادل.

وبهذه القاعدة.. قاعدة التعادل بين الإيمان والعقل[٤] اصطبغت كل أعمال الحكيم الفكرية والأدبية والفنية، وليست الإسلامية فحسب.

فالمحور الذى تبنى عليه كل أعمال الحكيم.. دلنا عليه فى تعادليته، حيث قال: «إرادة الإنسان فى كفة، تعادلها الإرادة الإلهية فى كفة أخرى، والفعل البشرى فى كفة يعادله الإيمان فى كفة أخرى..». وبهذا التعادل بين القوى ـ فى رأى الحكيم ـ يعيش الإنسان وينتج، ولا يجد القلق إلى نفسه سبيلا.

ويقدم لنا الحكيم فى «التعادلية» أمثلة لأعماله المسرحية فى مقدمتها: «أهل الكهف»، و«شهر زاد»، و«سليمان الحكيم».. تسير على هذه القاعدة، وتنهج هذا المنهج التعادلى.

كما يطبقها فى دراساته الإسلامية، حيث وجد أن دينه الإسلامى وهو جزء من النظام الكونى قائم على التعادلية:[٥] «إن عقيدة هذا الدين تقول للإنسان أن يعيش فى عالمين: (يعيش فى الدنيا كأنه يعيش أبدا، ويعيش للآخرة كأنه يموت غدا).. وهذا يقتضى أن ندرس الحياة الدنيا جيدًا، ونحاول أن نعرف ما نستطيع معرفته عن الحياة الآخرة».

بهذا المنهج التعادلى.. عامل الحكيم المادة الإسلامية.. فاستلهم تراثنا العربى الإسلامى محاولاً أن يوفق بين مادته القديمة التى قرأها واستوعبها، والشكل المعمارى الذى اكتسبه من الحضارة الأوربية الحديثة. ولعل من السمات المفارقة بين فكرنا التقليدى والفكر الأوربى[٦]. هذه المقدرة المعمارية عند الحكيم التى نفتقدها، والتى تعدّ الشارة الأولى لكل فكر جدير باسمه.

ولعل الحكيم نفسه يشير إلى هذا البناء.. فى ذكريات شبابه «زهرة العمر»، حين يحدثنا عن صراعه للسيطرة على الشكل وغرامه بإتقان البناء الفنى. فالشكل هو أول ما يملأ قلب الفنان الشرقى حين يطالع الآثار الأدبية الأوربية.. فهذا المثقف الشرقى نشأ فى ظل تراث لايكاد يعير الشكل اهتمامًا ليجد نفسه فى مواجهة تراث يتميز بهذه الروح المعمارية.. وهل المسرحية إلا شكل تصب فيه الأفكار والتأملات والأحداث. فإذا فقدت شكلها كادت أن تفقد جوهرها؟ وهل الفن كله إلا إعطاء شكل لأشياء لا شكل لها؟!

وهذا المنهج الذى سلكه الحكيم فى كتاباته وضح فى كتاب «محمد الرسول البشر»، فمادته عبارة عن نصوص كثيرة تهتم كثيرًا بالشكل.. نصوص منتشرة فى سيرة ابن هشام وتفسيرها للسهيلى، وطبقات ابن سعد، والإصابة لابن حجر، وأسد الغابة لابن الأثير، وتيسير الوصول والشمائل للترمذى.. هى نصوص بها وقائع يأخذها الحكيم كمادة أقرب إلى الخام؛ ليصوغ منها شكلاً جديدًا لا يتقيد فيه بترتيب أو تنسيق زمنى، بل يتقيد فقط بما يقتضيه العمل الفنى الذى بين يديه، ذلك الذى يقول عنه: إنه ليس عملاً تاريخيًا ولا علميًا، وإنما هو فنى أولاً وأخيرًا.

وليس عدم التقيد إلا بما يقتضيه العمل الفنى يجعله يبعد كثيراً عن الأصل، بل إن المتابع لكتابات الحكيم فى الدين الإسلامى على وجه الخصوص، يذهب إلى أن الحكيم كان حريصًا على الالتزام إلى درجة تشد الانتباه، وبالطبع السبب واضح، وهو أنه يتناول مادة تاريخية، وهى فى نفس الوقت تتصل بالنبى ﷺ وبتعاليم الدين الحنيف.

صحيح أن الحكيم فنان.. والفنان له شطحاته وأساليب تناوله للعمل الذى أمامه، ولكنه قبل كل شىء مسلم.. وحين اختار الكتابة عن الإسلام، فإنما كتب عن إيمان.. هذا الجانب الإيمانى كثيراً ما نستشعره فى كل ما يكتب.. فهو حين يتكلم مثلاً على لسان «يمليخا» فى مسرحية أهل الكهف يقول: «لست أذكر شيئًا مما قال، لكنى لن أنسى ما شعرت به إذ ذاك. إحساس لم يعترنى فى حياتى من قبل إلا مرة، إذ كنت أهبط الجبل ساعة غروب. فأشرفت على منظر بالخلاء لم أر أجمل منه. من ليلتى أفكر وأستذكر أين رأيت هذه الصورة من قبل؟ أفى الطفولة؟ أفى الأحلام أم قبل أن أولد؟.. إن هذا الجمال على غرابته ليس مجهولاً عندى، وقمت فى الفجر فذكرت صورة البارحة. وفجأة برقت فى رأسى فكرة هذا الجمال.. كان موجودًا دائمًا، منذ الأزل، منذ وجدت الخليقة، هذا الإحساس بعينه هو ما شعرت به وأنا أصغى إلى الراهب.. إن كلامه الذى أسمعه أول مرة ليس مع ذلك جديدًا عندى. أين سمعته ومتى؟ أفى الطفولة؟ أفى الحلم؟ أم قبل أن ولدت وتولدت فى نفسى عقيدة. إن هذا الكلام هو الحق، إذ لا أتصور بدء الوجود بدونه ولا انتهائه بدونه».

وهذا الإيمان نفسه هو الذى جعل الحكيم يرد، وبنفس طريقة التناول على ما كتبه بعض دعاة الفكر والحرية، وفى مقدمتهم فولتير، حين تناول السيرة النبوية بأسلوب حوارى تمثيلى، لكنه يتسم بالهجوم على الإسلام وتجريح لشخص الرسول الكريم.. هجومًا وتجريحًا يستنكره أى إنسان يعرف الإنصاف إلى قلبه سبيلاً، وليس أى مسلم غيور على أمر دينه. ولست أدرى كيف يمكن للمرء أن يقتنع بعمل لهذا المفكر الحر، وهو يكتب هذا الكتاب الذى ينحط بالفكر،

ويعصف بحريته؟! كيف يقتنع المرء بأنه حقًا أمام مفكر حر، يتملق وينافق ويستجدى؟! ولنقرأ معًا عبارة من إهداء فولتير هذا المفكر الحر لكتابه عن «محمد» ﷺ للبابا «بنوا» الرابع عشر، لنرى معًا إلى أى مدى كان الفكر الحر بريئًا منه. إنه يقول موجهًا كلامه للبابا: «فلتستغفر قداستك لعبد خاضع من أشد الناس إعجابًا بالفضيلة، إذ تجرأ فقدم إلى رئيس الديانة الحقيقية ما كتبه ضد مؤسس ديانة بربرية ـ يقصد النبى محمد ﷺ والإسلام ـ وإلى مَنْ غير وكيل رب السلام والحقيقة، أستطيع أن أتوجه بنقدى القاسى لنبى كاذب؟ فلتأذن لى قداستك فى أن أضع عند قدميك الكتاب ومؤلفه، وأن أجرؤ على سؤالك الحماية والبركة، وأنى مع الإجلال العميق أجثوا وأقبّل قدميك القدسيتين».

على هذا الانحاط، وهذه الوقاحة، وذلك الابتذال من إنسان ينعتونه ـ ظلمًا ـ بأنه مفكر.. يتصدى الحكيم بالرد فى صورة كتابه «محمد الرسول البشر» ردًا مقنعًا مدعمًا بالحجة والبرهان وهى أساليب إسلامية محضة. والأكثر بنفس أسلوب التناول الذى اختاره هذا المنافق المتملق.. وهو الأسلوب الحوارى.. كتبه الحكيم ولم يتملق أحدًا، ولم يرفع ملة على حساب ملة أخرى، ولم يجثُ على ركبتيه ليضع فكره عند قدم بشر.. وإنما كتبه بدافع إيمانه بأن دينه الإسلامى مستهدف لأباطيل وافتراءات، ومن حقه أن يدفع عن هذا الدين ما يوجه إليه.

فإذا كان هذا هو رأى الحكيم فى الإيمان من خلال مسرحياته أو أعماله الفنية. فماذا عن رأيه فى الإيمان من خلال دراساته وتأملاته؟

الإجابة عن هذا السؤال نجدها ولاشك فى كتاباته. وإذا اخترنا ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ كتابه «تحت شمس الفكر» لوجدنا صدى لما نتصور، حيث يقول: «فالعقل لا يدرى ما يلائم وظيفته، وما يخضع لمقاييسه، والحقيقة العقلية ليست الحقيقة كلها، ولكنها الحقيقة التى يستطيع العقل أن يراها من زاويته، فإذا كانت العقيدة مرجعها القلب، فإن العقل لن يرى منها إلا الشطر الذى يستطيع أن يراه، ويظل محجوبًا عنه الشطر الواقع فى دائرة القلب.. فوجود الخالق..

الجبار، المنتقم، الرحمن، اللطيف.. لاشك فيه عند القلب. أما العقل فإن استطاع أن يتصور وجود الخالق، فإنه يرتاب فى صحة تلك الصفات المنسوبة إليه ـ فى منطقة ـ صفات آدمية أسبغها على خالقهم إجلالاً له، لأنهم وهم بشر لا يملكون غير تلك الصفات التى هى فى عرفهم مرادف الإكبار والتقدير. أما حقيقة الخالق فأمر بعيد عن مقدرة العقل، وهل يستطيع الجزء أن يرى الكل؟..

إن رجال الدين يقعون دائمًا فى الخطأ إذ يبتسمون بسمة الظفر كلما قال رجال العلم قولاً يتفق مع الدين، ويقطبون تقطيب الغضب كلما نقض رجال العلم أسس الدين، وما أحراهم فى كلتا الحالتين أن يبتسموا غير مكترثين بسمة الصفاء واليقين، وأن يعتقدوا تمام الاعتقاد أن العلم فى كلتا الحالتين كاذب عندهم وإن صدق، وأن لا شأن للعلم بهم. وأن الحقيقة الدينية بعيدة عن وسائل العالم ودائرة بحثه، وأن العقل يستطيع أن يهدم الدين كما يشاء دون أن يسمع القلب طرقة واحدة من طرقات معوله».

وهكذا كتابات توفيق الحكيم الفنية وتأملاته الفكرية تقوم على منهج التعادل بين العقل والقلب.. بين العلم والإيمان. وبذلك المنهج كتب الحكيم عددًا من الأعمال مستلهمًا التاريخ الإسلامى.. فكتب «محمد الرسول البشر»، وكتب «فى الدين»، و«فى الأدب والدين»، و«الإسلام والتعادلية».. وحقق وقدم أعمالاً إسلامية فى مقدمتها: «مختار تفسير القرطبى الجامع لأحكام القرآن».

ففى كتابه «محمد الرسول البشر» يمكن القول اتفاقا مع الشاعر أحمد عبد المعطى حجازى[٧]: إن الحكيم حين قرر أن يتناول موضوع السيرة النبوية، تناولها بقلبه لا بعقله، فاطلع على كل ما أوردته كتب السيرة المتقدمة والمتأخرة من أخبار، سواء كانت هذه الأخبار وقائع يقبلها العقل أم خوارق لا يصدقها غير المؤمن، ولهذا فنحن نرى ـ فى تناوله المسرحى للسيرة ـ مشاهد متفقًا على صحتها، إلى جانب مشاهد مختلف عليها.

وإننا نستطيع أن ندرك شيئًا من هذا فى تقديم الحكيم لهذا العمل، حيث

قال: «المألوف فى كتب السيرة أن يكتبها الكاتب ساردًا باسطًا محللاً معقبًا مدافعًا مفندًا، غير أنى يوم أن فكرت فى وضع هذا الكتاب قبل نشره عام ١٩٣٦م ألقيت على نفسى هذا السؤال: إلى أى مدى تستطيع تلك الطريقة المألوفة أن تبرز لنا صورة بعيدة إلى حد ما عن تدخل الكاتب؟.. صورة ما حدث بالفعل وما قيل بالفعل دون زيادة أو إضافة توحى إلينا بما يقصده الكاتب أو بما يرمى إليه.

عندئذ خطر لى ـ الحديث للحكيم فى مقدمته ـ أن أضع السيرة على هذا النحو الغريب، فعكفت على الكتب المعتمدة والأحاديث الموثوق بها، واستخلصت منها ما حدث بالفعل وما قيل بالفعل، وحاولت على قدر الطاقة أن أضع كل ذلك فى موضعه كما وقع فى الأصل، وأن أجعل القارئ يتمثل كل ذلك كأنه واقع أمامه فى الحاضر غير مبيح لأى فاصل، حتى الفاصل الزمنى أن يقف حائلاً بين القارئ وبين الحوادث، وغير مجيز لنفسى التدخل بأى تعقيب أو تعليق، تاركًا الوقائع التاريخية والأقوال الحقيقية ترسم بنفسها الصورة..

كل ما صنعت هو الصب والصياغة فى هذا الإطار الفنى البسيط، شأن الصائغ الحذر الذى يريد أن يبرز الجوهرة النفيسة فى صفائها الخالص. فلا يخفيها بوشى متكلف ولا يغرقها بنقش مصنوع، ولا يتدخل إلا بما لابد منه لتثبيت أطرافها فى إطار رقيق لا يكاد يرى..».

إذن نحن أمام عملٍ فنى، أو بتحديد أكثر ـ نمطٌ من السرد الحوارى استمد الحكيم مادته من كتب السيرة المعتمدة، فالمادة موثقة بمعنى ما.. هو المعنى الذى اطلع عليه علماء المرويات الإسلامية، ولكنها بالمعنى العصرى، يختلط فيها القليل من الخوارق والأساطير. والحكيم مثل الدكتور طه حسين.. كلاهما فنان.. تشدهما مثل هذه المواد الأسطورية التى لا تؤثر كثيرًا فى صدق العمل الفنى.

وإذا كانت هذه نظرة من بعيد إلى تناول الحكيم للسيرة النبوية بالأسلوب المسرحى أو الحوارى، فما هى النظرة القريبة لهذا العمل العظيم؟

أولها باليهود وهم يطالعون «نجم أحمد فى السماء»، ثم ولادته والقصص والأساطير التى قيلت حوله (عليه السلام)، ثم طفولته وشبابه، ثم زواجه من السيدة خديجة.

يليه الفصل الثانى، وهو يتكون من ستة وثلاثين منظرًا فيه يطالعنا الرسول الكريم فى مبعثه وكفاحه وفى هجرته، ويبدأ هذا الفصل بمنظر لغار حراء، وعلى مقربة منه راعيان يرعيان الغنم. ويكون موضع حديثهما محمد ﷺ، الذى يخلو بنفسه فى هذا الغار ليتعبد، ويختفى الراعيان فى الوادى ليظهر الرسول الكريم، وهو يسير إلى الغار ويضع زاده فى صمت، ثم يسجد طويلا.

محمد: (ناظرًا إلى السماء) ألم يأن لى أن أرى وجهك الذى أشرقت له الظلمات؟

ويظل على هذه الحال حتى يرى ضوءًا غريبًا ويسمع صوتًا عجيبًا، ويهبط عليه الوحى، وتتوالى الأحداث.. فالقوم لا يؤمنون بما يقول، وهو متمسك بما يقول، ويعرضون عليه كل مغريات الدنيا على أن يحيد عن موقفه فلا يقبل. عندئذٍ لا يكون هناك بديلٌ من الصدام، ويهاجر إلى المدينة لتبدأ أحداث جديدة.

الفصل الثالث مكون من عشرين منظرًا يتناول حياة النبى ﷺ فى المدينة المنورة، حتى غزوة الخندق شارحًا باسطًا هذه الحياة الجديدة.

وتتوالى الأحداث، ويزداد الصراع بين النبى الكريم ومن ورائه أتباعه، وأعدائه حتى يكون يوم الخندق حيث يحاصر العدو المسلمين، ولكن الله سبحانه وتعالى ينصر دينه ونبيه على القوم الكافرين.

ثم الفصل الرابع وهو من اثنين وعشرين منظرًا، تبدأ المناظر الأربعة منها بسرد حديث الإفك، وكيف أن الناس ظنوا سوءًا بالسيدة عائشة (رضى الله عنها)، وكيف أن الله سبحانه وتعالى برأها ،حيث نزلت الآية الكريمة:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٨)..

وتستمر الحياة بعد ذلك بما فيها من صراعات وخلافات، إلى أن يكون يوم فتح مكة الذى ينتهى به هذا الفصل، وبهذه السورة الكريمة حيث يتلوها الرسول الكريم: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا..﴾(٩).

ننتقل بعد ذلك إلى الفصل الخامس والأخير، وهو من ثمانية مناظر، كلها عن أيام النبى الأخيرة حتى يوم وفاته. «ويرى جبريل وقد هبط عليه».

جبريل: يا أحمد إن الله أرسلنى إليك إكرامًا لك وتفضيلاً لك، وخاصةً لك، يسألك عما هو أعلم به منك، ويقول لك كيف نجدك؟

محمد: (شاخص العينين يتكلم من قلبه دون أن يبدى لمن حوله شيء) أجدنى يا جبريل مغمومًا، وأجدنى يا جبريل مكروبًا.

جبريل: (يشير إلى ملك خلفه) يا أحمد هذا ملك الموت يستأذن عليك، ولم يستأذن على آدمى من قبلك، ولا يستأذن على آدمى بعدك.

محمد: ايذن له.

ملك الموت: يا رسول الله يا أحمد، إن الله أرسلنى إليك وأمرنى أن أطيعك فى كل ما تأمرنى، إن أمرتنى أن أقبض نفسك قبضتها، وإن أمرتنى أن أتركها تركتها.

محمد: وتفعل يا ملك الموت؟

ملك الموت: بذلك أمرت أن أطيعك فى كل ما أمرتنى.

جبريل: يا أحمد إن الله قد اشتاق إليك.

محمد: امض يا ملك الموت لما أمرت به.

جبريل: السلام عليك يا رسول الله، اليوم آخر عهدى بالهبوط الأرضى.. «ويرتفع الملكان ويتركان محمد جثة هامدة».

وتنتهى المسرحية بهذا المنظر الثامن: «النبى مسجى على سريره.. يدخل الناس عليه زمرًا، يصلون عليه ويخرجون بغير أن يؤمهم إمام، أبو بكر وعمر وعلىّ فى الصف الأول أمام جثة النبى ﷺ مطرقين.

على: (هامسًا) أنت أمامنا حيًا وميتًا.

أبو بكر وعمر: (للجثمان) السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته. اللهم إنا نشهد أن قد بلغ ما أنزل إليه، ونصح لأمته، وجاهد فى سبيل الله حتى أعز الله دينه وتمت كلماته، فآمن به وحده لا شريك له.. فاجعلنا يا إلهنا ممن يتبع القول الذى أنزل إليه، وثبتنا بعده، واجمع بيننا وبينه، فإنه كان بالمؤمنين رءوفًا رحيما.. لا نبتغى بالإيمان بدلاً ولا نشترى به ثمنًا.

الناس: فى (صوت واحد)آمين.. آمين.

تحت شمس الفكر

● وفى كتابه «تحت شمس الفكر» خصص الحكيم قسمًا كبيرًا تحت عنوان: «فى الدين» فى فصوله الستة عن الدين الإسلامى.

ففى فصل عنوانه: «منطقة الإيمان» يفرّق الحكيم بين الحقيقة العقلية والحقيقة الدينية، فالحقيقة العقلية أو العلمية لا يتجاوز علمها الكائنات التى تمر بالحواس، ومن يحمّل العقل أكثر من قدرته فإنما يريد منه المستحيل، ويشبه طلبًا كهذا كأن نطلب من الكبد مضغ الطعام. وعلى هذا فهو يقرر فى هذا الفصل

بالذات أن حقيقة الله أمرٌ بعيد عن مقدرة العقل.. وهل يستطيع الجزء أن يرى الكل؟!

وفى فصل عنوانه: «الدفاع عن الإسلام» نراه يقوم بالدفاع عن النبى الكريم، حيث يذكر قصة فولتير التى يهاجم فيها الرسول الكريم كنبى، والإسلام كدين، ويذكر أنه علم بأن «جان جاك روسو» تناول أعمال فولتير بالنقد. وأنه اطلع على نقده لتمثيلية «محمد» علّه يجد الحق وقد رد إلى نصابه فلم يجد. إن روسو هو الآخر لم يدفع عن محمد ﷺ ما ألصقه فولتير كذبًا، وكأن ما قيل عن النبى الكريم لا غبار عليه عندهم، ولا حرج فيه. ولم يتعرض للتمثيلية إلا من حيث هى فن وأدب.

ويذكر الحكيم صدمته وفجيعته المروعة فى ذلك المفكر الكبير «فولتير»، ويرى أنه متهم عنده ولن يبرئه أبدًا، ولن يعدّه أبدًا من بين أولئك العظام الذين عاشوا بالفكر وحده، وللفكر وحده. ويرى أن التاريخ العادل سوف يحكم عليه هذا الحكم.

لكن الفجيعة كانت أكبر والدهشة كانت أعظم بالنسبة للحكيم.. ذلك أن الشرق والإسلام وقفا من هذا الأمر موقف النائم الذى لا يعى ولا يشعر بما يحدث حوله. فلم يقرأ كاتبًا من كتّاب الإسلام قام فى ذلك الوقت يدفع عن دينه هذا الهراء الذى قاله فولتير، ويقذف فى وجه هذا الكاتب بالحقائق الباهرة القاطعة، فالمسألة ليست مسألة دينٍ فحسب، إنما هى أيضًا مسألة جنس وقومية.

ويذهب الحكيم إلى أنه آن للغرب أن يحترم عقائد الشرق، بل لقد آن للغرب أن يدرك أن محمدًا والإسلام، هما من منابع الفكر الحر، وطفرة من طفرات البشرية المتحررة. والدليل على ذلك شخصية النبى ذاتها، وغرضه من الدعوة إلى دين جوهره إقناع النفس، وحين أعلن أنه بشر وأن دينه، هو دين الفطرة البشرية، وأنه قاوم السفهاء الذين كانوا يطلبون إلى الأنبياء أن يثبتوا نبوتهم بالمعجزات، فأثموا فى الفكر البشرى قبل أن يأثموا فى حق الدين.

إن محمداً ﷺ قد فهم حقيقة النبوة، ووعى معنى الحقيقة العليا، وأدرك أن أكبر معجزة فى هذا الكون هى ألا يكون فى الكون معجزات، إن محمداً قد تأمل الطبيعة كثيراً أيام عزلته فى غار «حراء»، وفكر مليّا فى نظامها العجيب، فكشف عن بصيرته وبعده فامتلأ قلبه بالله الواحد، الذى اقتنع عقله بوجوده، فجاء دينه دينًا متكاملاً صادقًا فى نظر القلب والعقل معًا.

ولئن كان فى الأرض نبى حرص على أن يجاهر بمحبة العلم ومصداقته، ولم يخش دينه العلم، ولم يضطهد العلماء فهو «محمد» الذى قال: «فضل العلم خيرٌ من فضل العبادة»، وقال: « اطلب العلم ولو فى الصين»، وغيرها من الأحاديث التى تثنى على العلم وتمضى فيه.. ذلك أن مصدر إقناع العلم، ومصدر إقناع محمد واحد: الكون وملاحظة ما فيه من إبداع ينم على أن الخالق مبدعٌ هائل.

ويختم الحكيم هذا الفصل بقوله: «إنى كلما تأملت شخصية «محمد» ﷺ مجردة، ثبت إيمانى بأن الخصومة المعروفة بين العلم والدين ليس لها فى الحقيقة وجود، وأن الدين الحق لا يتعارض والعلم الحق. بل إن الدين والعلم شيئًا واحدًا كلاهما يطلب نور الله ويريد وجهه، وكلاهما يسعى ويؤمن وينهج تناسق الوجود ووحدة قوانينه».

وفى الفصل الثالث وعنوانه: «نجم أحمد» يواصل الحكيم حديثه، أو قل دفاعه عن الإسلام ونبيه متسائلاً: ما الإسلام؟ وكيف ظهر بظهور «محمد»؟

ويجيب فى الصفحات عاقدًا مقارنة بين الإسلام والديانتين المسيحية واليهودية.. ويرى أن الإسلام جاء بإسلوب جامع مانع.. سهل ممتنع.. محكم الوضع.. مصقول التراكيب.

وفى فصل عنوانه: «سر العظمة» يواصل الحكيم الحديث عن الدين الإسلامى، والرسول الكريم، فيحدد موقع النبى الكريم من العالم فى بداية

دعوته حين يكون وحده، الذى يدين بدين جديد، فى الوقت الذى كانت الدنيا كلها: أهله وعشيرته وبلده وأمته والفرس والروم، والهند والصين وكل شعوب الارض، لا يرون ما يرى ولا يشعرون له بوجود.

فالرسول.. رجلٌ ليس لديه قوة أو سلاح، إلا مضاء العزيمة وصلابة الإيمان. أمام عالم تدعمه قوة العدد والقوة، وتؤازره حرارة عقيدة قديمة شبّ عليها، وورثها عن أسلافه، واتخذت لها فى قرارة نفسه، وأعماق تاريخه، جذروًا ليس من السهل اقتلاعها مع أول قادم!

وتحت عنوان: «المرأة فى شباب النبى» يناقش الحكيم موقف النبى ﷺ من المرأة. وكأنه يرد على هذه الاتهامات الباطلة التى كان يوجهها إليه دعاة الغرب من المبشرين والمستشرقين، فى هذا الموضوع بالذات. فيقرر منذ البداية أن النبى ﷺ لم يتحرك قلبه لامرأة قبل خديجة (رضى الله عنها)، كما يروى التاريخ، ويعلل ذلك بأن حياة النبى الكريم حتى الخامسة والعشرين، كانت حياة عاكف على عمله، متأملاً فى ملكوت الله، فلم يكن للهو وللمرأة حتى ذلك الوقت مكان من اهتمامه أو تفكيره.

ويختتم الحكيم بحثه فى الدين بفصل عن الحديث عن جوهر الدين نفسه، فيشير إلى التهويل فى استخدام الألفاظ التى تخرج منعزلة عن النوايا، ويحيى مع ذلك كل من يعنيه جوهر الدين. بل والأكثر يحث الناس على ألا يتجروا بالدين.. ذلك لأن الدين هو الذى رفع الإنسان فوق مرتبة الكائنات جمعاء.

ويناشد القارئ أن يضع هذه الحقائق فى حسبانه قائلاً له: «الدين هو الذى يرفع بصرك إلى أعلى.. إلى أعلى أقدامك وأرضك وطعامك وشرابك، وإذا استطعت أن ترفع بصرك إلى أعلى من فمك فأنت أرقى من الحيوان، وإذا ارتفعت إلى حيث تدرك وجود الله فأنت سيد الكائنات».

الحكيم يرى أن الفرق بين الإنسان والحيوان، هو أن الإنسان يعرف معنى

الدين، فى حين أن الحيوان لا يعرف ذلك، ولو عرفت جماعة من الحيوان يومًا معنى الدين، لأصبحت فى الحال بشرًا ساجدين.

وما من شىء نفخر به نحن الآدميين، إلا أننا نسجد من أجل فكرة عليا، ونتحمس من أجل معنى مقدس، ونعرف ـ وهذا هو المهم ـ ما هو الايمان؟

فن الأدب

وفى كتاب «فن الأدب» خصص الحكيم بحثًا كبيرًا تحت عنوان: «الأدب والفن» تناول فيه العلاقة بين الأدب والدين، فذهب إلى أن الاثنين ينبعان من مصدر واحد، أو على حد تعبير الحكيم: «الدين والأدب كلاهما يضىء من مشكاة واحدة». لكن كيف يكون ذلك؟

هذا ما تتضمنه فصول البحث الستة، والتى يبدأ أولها، وعنوانه: «السماء هى المنبع»، بوضع فرض أو اعتقاد، هو أن رجل الأدب أو الفن، ورجل الدين بينهما صلة.. ذلك أن الدين والفن كلاهما يضىء من مشكاة واحدة، هى ذلك القبس العلوى الذى يملأ الإنسان بالراحة والصفاء والإيمان، وأن مصدر الجمال فى الفن، هو ذلك الشعور بالسمو الذى يغمر نفس الإنسان عند اتصاله بالأثر الفنى.. من أجل هذا كان لابد للفن أن يكون مثل الدين، قائمًا على قواعد الأخلاق.

وتحت عنوان: «الماء الحى» يقدم لنا الحكيم حوارًا بين يسوع (عليه السلام) وامرأة سامرية ينتهى إلى قول يسوع (عليه السلام): «كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضًا ولكن من يشرب من الماء الذى أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حيوات أبدية»، ثم يتساءل الحكيم: «كم من البشر انطفأ فيه ذلك العطش، ونبع

فيه ذلك الماء الحى؟، ويتساءل أيضًا: «أين هذا الماء الحى؟ وأى دلو نصل إليه؟».

ويجيب على صفحات هذا الفصل: «إنه موجود ليس فى كل النفوس، ولكنه ينبع فى النفس التى تلقت بركات السماء وقد لا تشعر هى بوجوده، وقد لا يشعر بذلك الناس المحيطون بها، لأن هذه النعمة أسمى من أن تراها كل العيون».

ولكى يقرب الحكيم أوجه الشبه بين رجل الأدب ورجل الدين.. لكى يقرب الأدب من الدين.. يكتب هذا الفصل بعنوان: «الحقيقة الكاملة» هذا البحث يصدّره الحكيم بأسطورة صينية مملوءة بالحكمة، والتى تقول: «إن فوق تل من تلال غابة نائية، كان يعيش شيخٌ مع ابن له وجواد، وذات يوم هرب الجواد واختفى، فأقبل الجيران على الشيخ يعزونه فى نكبته لفقد جواده، فقال لهم الشيخ: من أدراكم أنها نكبة.. ولم تمضِ أيام حتى عاد الجواد مصطحبًا عددًا من الخيول البرية، فعاد الجيران مهنئين له ذلك الحظ السعيد. فقال لهم: ومن أدراكم أنه حظ سعيد.. وامتطى ابن الشيخ أحد هذه الخيول البرية ليروضها، فسقط من فوق صهوته إلى الأرض فكسرت ساقه. فرجع الجيران محزونين يواسونه ويعزونه فى هذا الحظ العثر، فقال لهم: ومن أدراكم أنه حظ عاثر.. ومضى عام وإذا بحرب تقوم جُنّد فيها كل الشباب، فلاقى أكثرهم الحتف، إلا ابن هذا الشيخ، لأن العرج أعفاه من الذهاب إلى الحرب وأنقذه من الموت».

ويعلق الحكيم على هذه الأسطورة قائلاً: «إن لكل شىء نهاره وليله يدوران حوله بغير انقطاع. ولكن الإنسان فى نظرته القصيرة لا يرى الحادث فى حلقاته المنفصلة وأجزائه المتقطعة ونتائجه المؤقتة ومؤثراته المفاجئة. فعينه لا تستطيع أن تشمله فى جملته، لأن جملته ممتدة إلى الغد، وعين الإنسان لا ترى الغيب.

ولو استطاع إنسان أن يشمل بنظراته الأمس واليوم والغد، وأن يتتبع حادثًا

واحدًا أو رجلاً بعينه لرأى العجب. فهذا الغنى الذى يملك الملايين سيرى أمواله قد بددها وريث، وهذا الوريث سيكون له أولاد فقراء، ومن هؤلاء الفقراء واحدٌ ينشئ ثروة.. وهكذا دواليك: يأتى المال من العدم، ويذهب المال إلى العدم. ويولد من السعد نحس، ومن النحس سعد.. والساقية تدور لا تكف عن الدوران. وهى لا تقف طول الزمان، وليس هناك فى حقيقة الأمر حظ زاهر ولا عاثر. وأن ما تسميه الحظ ليس إلا وقوف نظرنا المحدود على وضع من الأوضاع فى وقت من الاوقات..

إن الحياة متوازنة هكذا جعلها الخالق عز وجل، لكى تكون محتملة.. فيها الأبيض وفيها الأسود.. فيها الغنىّ وفيها الفقير.. فيها السعادة والشقاء».

الحكيم يريد أن يقول فى هذا الفصل: إن الإنسان مهما وصل عقله ومهما كانت ثروته، فلن يتجاوز حدود القدرة الإلهية بأى حال من الأحوال. فهذه القدرة هى التى غرست فيه قدرته على التفكير وعلى التغيير.

وفى فصل بعنوان: «معجزة الدين»، يطرح الحكيم سؤالاً: لماذا لا يظهر فى هذا العصر أنبياء؟.. وهو سؤال يطرحه كثيرون ولا يتلقون عنه جوابًا مقنعًا. ويضيف أنه ظهر فى هذا العصر من يدعى شفاء الأمراض ومن يزعم الاتصال بالأرواح، ولكن قلما يظهر من يدعى النبوة.. لماذا؟ السبب لاشك هو أن المتنبئ يعلم أنه سوف يطالب بالإتيان بمعجزة. لكن ما هى المعجزة التى تستطيع أن تقنع الناس فى عصرنا الحاضر؟

لو أن رجلاً ما ادعى النبوة قال للناس انظروا، ثم مد يده إلى القمر فخلعه من موضعه فى الفضاء، وصره فى منديله كأنه بطيخة، وسار به متنقلاً فى أرجاء العالم، فما الذى يحدث؟

يحدث أن يهب علماء الأرض بفحص هذه الظاهرة.. الفلكيون لهم رأى،

وعلماء، الكيمياء لهم رأى آخر، وعلماء النفس لهم رأى ثالث. وهكذا يمضى كل عالم وباحث فى كل فرع يفحص ويمحص ويفترض ويستنتج، فتكثر المحاولات الفنية وتتلاطم النظريات العلمية. ولكن ما من واحد من هؤلاء العلماء يأخذ نبوة الرجل على سبيل الجد، أو يحاول التسليم بوجود صلة مباشرة بين هذا الرجل والله عز وجل.

ويختتم الحكيم هذا البحث بالفصل السادس، وعنوانه: «الإيمان بالحياة». وهو منارة تقع بين جنبى الإنسان مكانة القلب.. ذلك القلب المؤمن بالحياة.. الحارس لها، الذائد عنها دون أن نتدخل فى عمله بأذهاننا. فهو ذلك الجزء الأصيل فينا.. ذلك الجزء الذى وضعه الله عز وجل، ولا يستطيع عقلنا لحسن الحظ أن يصدر أمره إلى القلب فيوقف نبضاته، كما يصدر أمره إلى الأيدى والأقدام فيوقف حركاتها. لا أحد غير الله يستطيع أن يصدر أمره إلى القلب.

تقديم مختارات «تفسير القرطبى»

وحين تصدى الحكيم لتحقيق وتقديم «مختار تفسير القرطبى الجامع لأحكام «القرآن الكريم»، فقد تحرك عقله مع هذا الحشد من العلماء والمفسرين. لم يستطع منع فكره من مناقشة بعض المسائل وتحليلها. فبرز رأيه واضحًا جليًا على امتداد صفحات هذا الكتاب فى إعجاز القرآن، والتلاوة والتطريب، وفى الجمع بين الدين والدنيا، وفى الإذن بالقتال، وفى الحكم ونظام المجتمع، وفى العقوبات والحدود، وفى اللاعنصرية فى الإسلام، وفى حقيقة أن الله غنى عن العالمين، وفى مسألة العقل أعجب الخلق، والله والعلماء.

وهكذا يلمس القارئ لهذا الكتاب إضافة جديدة إلى ما فيه من تفسير العلماء والمفسرين السابقين، قام بها الأستاذ الحكيم فى هذه المسائل التى ذكرت.

فالأستاذ الحكيم يقول فى صدر ما جاء فى كتاب «من دلائل الإعجاز فى القرآن الكريم»: «إنه نزل على صورة لم يعرفها العرب لا فى الشعر ولا فى النثر. وبه كل الجلال فحاروا، ودهشوا لأن المألوف فى أعمال البشر العظيمة أن تكون لها بدايات تتطور من عهد إلى عهد، ومن عبقرى إلى عبقرى. فكل علماء العلوم والآداب والفنون منذ الخليقة كانت أعمالهم المبتكرة لها بوادر وبدايات تطورت فى أشكالها ومضامينها، حتى بلغت القمة التى وصلت إليها، أما القرآن الكريم فقد ظهر دفعة واحدة بشكله ومعانيه، بما لم تسبقه بوادر وبدايات معروفة عند البشر.

فنزوله بهذه الصورة دفعة واحدة بغير تطور سابق، أمر يشبه نزول شىء سماوى كشهاب منير، فإذا قيل هو وحى من السماء أنزل على رسول الله ﷺ، فإن ذلك هو الطبيعى الأقرب إلى التصديق.. فمن إعجاز القرآن إذن، هو هذا النزول فى صورته النهائية بغير سابق نمو وتطوير، مما ينطبق عليه قوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾[١٠]..».

وفى التلاوة والتطريب للحكيم رأى خلاصته أن يكون للترتيل مكان إلى جانب التطريب.. فمع الترتيل يتجه الذهن إلى عمق المعانى، ومع التطريب تتجه الأذن إلى موسيقى الكلمات. والجمع من المعنى والمبنى، فيه اكتمال للإدراك واستيعاب لعنصرى الوجود: الروح والجسد، وهذا جوهر أساسى فى الإسلام.

وفى الجمع بين الدين والدنيا، أى بين شئون الروح ودواعى الجسد.. هذا الجمع هو الذى يميز الإنسان.. وللحكمة رأى فى ذلك هو أن الإنسان يتغذى روحيًا بغذاء مادى.. ولهذا كانت فطرة الإنسان هذه هى الإنسان نفسه الذى هو

جوهر الإسلام. ولهذا أيضًا كان الإسلام هو ختام الأديان السماوية. وكان محمد رسول الله، هو خاتم النبيين.. لأن ما جاء به وما يمثله فى التطور البشرى، لم تعد بعده حاجة إلى بعثة أخرى من عند الله.

كذلك يرى الحكيم أن القرن القادم وهو الحادى والعشرون سيكون للدين. ذلك لأن العلماء كلما توغلوا فى العلم، اقتربوا من الدين، ومن الخشوع لله، وابتعدوا عن علماء القرن التاسع عشر، يوم كان العلم الوليد فى بدايته، يدفعهم إلى الإلحاد. فالقليل من العلم كما يقول يورث الإلحاد.. والكثير منه يؤدى إلى الإيمان. فهذا القرن العشرون ينبئ بقرن قادم يصل فيه مستوى العلم الحديث إلى درجة من النفوذ والكشف عن أسرار الكون، تجعل علماءه أقرب الناس إلى باب الله والدين.

هذه المسائل وغيرها خطرت على عقل الحكيم فى أثناء جمعه «لمختار القرطبى»، وهى من المؤكد بفعل ما أناره كتاب القرطبى فى نفسه من آراء وأفكار.

الإسلام والتعادلية

وتحت عنوان: «الإسلام والتعادلية» نشر الحكيم كتابًا متضمنًا نظرته الفلسفية فى الحياة، عاونه فى ذلك أن ديننا الإسلامى وهو جزء من النظام الكونى قائم على التعادلية. حيث إن عقيدتنا تقول: الإنسان المسلم عليه أن يعيش فى عالمين: يعيش فى الدنيا كأنه يعيش أبدًا، ويعيش للآخرة كأنه يموت غدا.

والحق أن نظرة الحكيم هذه تصلح لأن تكون أساسًا لفلسفة إسلامية عربية كما نبه الدكتور زكى نجيب محمود عند تقييمه لكتاب التعادلية عام ١٩٦٨م.. هذه الفلسفة تستطيع أن تدرس الحياة الدنيا جيدًا، وتحاول أن تعرف ما تستطيع معرفته عن الحياة الآخرة.

والحكيم فى تقدمته «للإسلام والتعادلية» يقول: «ونحن اليوم بصدد تقنين الفقه الإسلامى، وجعل الشريعة الإسلامية أساسًا للتشريع، فمن الواجب أن نعرف منشأ هذه الشريعة فى المجتمع الذى ظهرت فيه أول مرة، والمسار الذى سلكته هذه الأحكام الشرعية من مبدأ العمل بها إلى ما انتهت إليه اليوم، وهل زالت هذه الأحكام كلها تماماً فى مجتمعنا الحاضر أم بقى منها شىء؟.. ففى القانون المدنى الذى نطبقه اليوم ماذا يتفق مع الشريعة فيه؟ وماذا يختلف؟ وفى القانون الجنائى ماذا أخذ؟ وماذا أهمل؟.. كل ذلك لابد فيه من إحصاء دقيق واضح تحت نظرنا حتى يجرى الكلام فيه على أساس العلم اليقينى بالأمانة العلمية التى كان يعرفها ويمارسها السلف الصالح فى عصور الإسلام الزاهرة.

والحكيم هنا يناشد رجال الدين تعريف الناس ـ باتساع أفق ورحابة صدر ـ نبى الإسلام عندما أخذ بما كان جاريًا عليه العمل قبل الإسلام دون أن يتحرج. مثل أخذه بعقوبة قطع يد السارق التى كان معمولاً بها فى الجاهلية، وجاء القرآن فأقرها، وكذلك عقوبة الرجم فى الزنا التى كانت فى التوراة. وهذا يدل على أنه لا يوجد فى الإسلام موانع ترفض الأخذ بما لم يكن قد نشأ فى الإسلام وحده.

فلا حرج إذن من أن يقتبس الإسلام ما ينفع المسلمين..».

وعن إقامة فلسفة إسلامية عربية يذكر الحكيم أن الفلسفة الإسلامية عندنا تستقر فى بنيان أقامه المفكرون من المسلمين. لأن كل فلسفة لا يمكن أن تقام إلا ككل بنيان، حجر فوق حجر، ومجهودات فوق مجهودات، فإن هذا البناء لهذه الفلسفة الإسلامية لابد أن يقوم على أساس الحياة فى عالمين: الدنيا والآخرة.

يجب أن تكون قضايا الدنيا قد تعمقنا فى دراستها كمهتمين بالدين والدنيا، أى رجال متبحرون فى علوم الدنيا إلى جانب تفقههم فى علوم الآخرة. وفلاسفة متعمقون فى شئون الآخرة.. وبالتعادل بين الحياتين تنشأ الفلسفة الإسلامية والعربية.

كل ذلك بالروح الذى تميز به الإسلام: وهو الاعتدال. هذا إلى جانب معالجاته الفنية فى أعماله المعروفة، ومنها: «أهل الكهف»، و«شهر زاد، و«سليمان الحكيم».. فقد نرى فيها هذه اللمحات الإسلامية[١١].

الهوامش

(١) سجن العمر ـ توفيق الحكيم ص٧٢.
(٢) زهرة العمر ـ توفيق الحكيم ص١٧٣.
(٣) التعادلية ـ توفيق الحكيم ص٦.
(٤) مقال للدكتور زكى نجيب محمود بالهلال ـ عدد فبراير ١٩٦٨م.
(٥) التعادلية والإسلام ـ توفيق الحكيم ص١٦٣.
(٦) مقال للشاعر صلاح عبد الصبور فى عدد الهلال الخاص عن الحكيم.
(٧) محمد وهؤلاء ـ الشاعر أحمد عبد المعطى حجازى ١٠٧.
(٨) سورة النور ـ الآية ١١.
(٩) سورة النصر.
(١٠) سورة يس ـ من الآية ٨٢.
(١١) كتب توفيق الحكيم الإسلامية إلى جانب إسلاميات توفيق الحكيم لسامح كريمٌ.